خطبة صلاة الجمعة 10/ 7/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الإيمان والأمانة والأمن)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1، 2].

قال ابن كثير: يهدي إلى الرُّشد أي يهدي إلى السَّداد والنَّجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

قال المفسرون: معنى قوله: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَّشَد والرُّشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ✕: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّ إِلاَّ نَفْسَهُ وَلاَ يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة الخامسة والعشرون في سلسلة (دليل إرشادي)، تتناول كلُّ خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية وقع فيها عددٌ منَّا وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتُقدِّم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى، تعينه على رؤية الطريق وتُمكِّنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزةً تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة، لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنة والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **(الإيمان والأمانة والأمن)**

المسألة:

قرأت تقارير تشير إلى أرقامٍ كبيرةٍ للجريمة في الولايات الأميركية، وأخبرني واحد من تجارنا أنه عندما يسافر إلى إحدى البلاد الأوربية لا يستطيع أن يترك حقيبة سفره لحظات على أرض المطار إذ ربما سرقتها العصابات المنتشرة هنا وهناك، وسمعنا قبل أسبوعين أخبار جريمة لا يتصورها إنسان فيها قتل وحرق واغتصاب وسرقة، جرت في بلدنا، فكيف طوّعت للإنسان نفسُه قتلَ أخيه فأصبح من الخاسرين، وكيف يعتدي امرؤ على حرمات الآخرين، وكيف تتسلل الجريمة إلى البلاد لتروع الآمنين؟.

الدليل الإرشادي:

أيها الإخوة:

الإيمان والأمانة والأمن: كلماتٌ ترجع في اشتقاقها اللُّغوي إلى أصل واحد، وارتباطُها اللُّغوي دليل على ارتباطها الواقعي.

فالإيمان بالله تعالى يقضي أنْ يتحلى المؤمن بالأمانة في أقواله وأفعاله وأن يتحلى بسائر الخُلق الحسن، وكلا الإيمان والأمانة يورثان الأمن الحقيقي: أمنَ الأفراد وأمنَ المجتمعات، الأمنَ النَّفسي والصِّحي والفكري والسِّياسي والجنائي.

وعكس ذلك في ضياع الإيمان، إذ بضياعه تضيع الأمانة وسائر الأخلاق الحميدة، وبفقد الإيمان والأمانة يُفقَد الأمن.

فالمجتمع الذي يعزز في أبنائه الإيمانَ بالله، ويعلي شأن أهل الأمانات وأهل الفضائل والمكرمات ينتشر فيه الأمن وتقل فيه الجريمة أو تنعدم، وعكسه بعكسه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82].

جاء في أخبار القضاة عَن محارب بْن دثار؛ قال: لما استُخْلِف أَبُو بكر استعملِ عُمَرَ على القضاء، وأبا عبيدة على بيت المال، فمكث عُمَر سنةً لا يتقدم إليه أحد.

المجتمع الذي يعزز في أبنائه الإيمانَ بالله، ويعلي شأن أهل الأمانات وأهل الفضائل المكرمات ينتشر فيه الأمن وتقل فيه الجريمة أو تنعدم، وعكسه بعكسه.

المرء المؤمن يدفعه إيمانه لحفظ الحرمات وتأدية الأمانات، فتراه يعيش أمْنَاً حقيقياً في نفسه، والناس منه آمنون. أخرج الترمذي والنسائي عن رسول الله ﷺ: «**المؤمن: من أمِنَهُ الناسُ على دمائهم وأموالهم**».

المرء المؤمن يدفعه إيمانه للكف عن المحارم واجتناب المظالم، فتراه يعيش أمْناً حقيقياً في نفسه، والناس منه آمنون. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**واللهِ لا يُؤْمِن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمَن جارُه بَوائِقَهُ**».

فالمرء المؤمن يدفعه إيمانه لحفظ الأمانة وأدائها فتراه يعيش أمناً حقيقياً، أما غيرُ المؤمن أو المؤمنُ الذي يعتدي على الحقوق ويخون الأمانات وينشر الرذلة والفاحشة في المجتمعات فإنه يعيش خوفاً حقيقياً، يخاف وقوعه بيد العدالة حيناً، ويخاف وقوعه بيد من اعتدى عليهم حيناً آخر، ويخاف وقوعه بيد الله حيناً ثالثاً، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: 213].

قال أحد العلماء: (وَرَدَت كلمة ﴿الْأَمَانَاتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النِّساء:58] وردت الأمانات بالجمع لتشمل كلَّ أمانة مادية ومعنوية، فالعارية أمانة والأسرة أمانة والأولاد أمانة والجوار أمانة والحواس أمانة والوظيفة أمانة والحُكْم أمانة والقضاء أمانة والكيل والميزان أمانة والبيع والشِّراء أمانة وكلُّ مسؤولية أمانةٌ يجب أداؤها ومراعاتُها في شرع الله تعالى.

فإذا حُفِظت حقوقُ الناس وأديت لهم أماناتهم شعر كل منهم بالطُّمأنينة والقناعة والرِّضا، وعاش الجميع في مجتمع مؤمنٍ أمينٍ آمنٍ... أمَّا ضياعُ الأمنِ وفقدُه فهو نتيجةٌ لفقد الإيمان وضَيَاع الأمانات).

ورحم الله محمَّد إقبال القائل:

إذا الإيمانُ ضاع فلا أَمَانٌ ... ولا دُنيا لِمن لَم يُحْيِ دِينا

ومن رَضي الحياة بغير دِينٍ ... فقد جَعَل الفناء لها قرينا

إنَّ النَّاس إذا شعروا بأنَّ حقوقَهم محفوظة، وأماناتِهم مرعيَّة، وحرماتِهم مصونة؛ فشا الأَمْن وبُسِطَت الطُّمأنينة. أمَّا إذا عدا القويُّ على الضَّعيف، وهضم الغنيُّ حقَّ الفقير، وسَطَا القادر على العاجز، ونُشِرت الرذيلة وطُوِيَ بساط الفضيلة، فأيَّةُ طمأنينة وأيَّةُ سكينة تُرْجَى لهم ومنهم!.

جاء في كتاب "نظرات في كتاب الله" للشيخ هشام الحمصي رحمه الله: (الأسرة ينتشر فيها الأَمْن والسُّرور حين يعدل الوالد بين أولاده في العطية وحُسنِ المعاملة وبين زوجاته كذلك، فيبادلُه الجميعُ الحبّ والولاء والمودَّة والإخلاص، ويتمنّون له طول العمر.

والأخ الكبير الذي يرعى حقوق إخوته وأخواته بعد وفاة أبيهم؛ فيُنصِفهم ويعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فإنَّه واجدٌ منهم حبَّاً ووفاءً، يشاركهم السَّعادة في أسرة آمنة مطمئنة لا يكيدُ أحد لآخر ولا يتربَّص به الدَّوائر...

وزوجة الأب التي تخاف الله فترعى حقوق أولاد زوجها من غيرها كما ترعى حقوق أولادها منه، ستجد منهم عطفاً وحناناً وإخلاصاً وولاءً ينعكس أمناً ورخاءً...

والمعمل ينتشر فيه الأمن حين يُخلِص صاحبُه لعمَّاله ويعطف عليهم ويرعاهم فيبادلونه بالحبِّ حبَّاً وبالرِّعاية اهتماماً.

والمجتمع يعيش في ساحة الأَمْن والأمان والسِّلم والسَّلام حين يقوم في حكمه وقضائه على العدل والشُّورى والمساواة، وحين يعين غَنيُّه الفقيرَ وقويُّه الضعيفَ فينهضُ المجتمع سليماً معافى.

ولا يغْترَّنَّ خائنٌ لأمانة بكسبٍ حرامٍ عاجلٍ، وغُنْمٍ جاء بعد تصرُّف ظالمٍ غافلٍ، فإنَّ حسابه وعقابه لابُدَّ قادمٌ نازلٌ، إنْ في العاجل أو في الآجل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية:15].

أخرج ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدَاً نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إلا مَقِيتَاً مُمَقَّتَاً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتَاً مُمَقَّتَاً نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَة، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إلا خَائِنَاً مُخَوَّنَاً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنَاً مُخَوَّنَاً نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيْمَاً مُلَعَّنَاً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إلا رَجِيْمَاً مُلَعَّنَاً نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الْإِسْلَامِ**».

أيها الإخوة:

أخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما خطبنا نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**».

الطَّالب أمانة في عنق المعلِّم، وربُّنا سائله: أحَفِظَ الأمانة أم ضيَّع؟

والمريض أمانة في عنق الطَّبيب، وربُّنا سائله: أرعاه أم فرَّط؟

والجريح أمانة في عنق الممرض، وربُّنا سائله: أجتَهَدَ أم قصَّر؟

والمنشآت العامَّة أمانة بيد النَّاس، وربُّنا سائلنا: أحافظنا عليها أم أسأنا لها؟

والمشتري أمانة في عنق البائع، وربُّنا محاسبه: أنصحه أم غشَّه؟

والمراجع أمانة في عنق الموظف، وربُّنا سائله: أخَدَمَه وأعانه أم ابتزَّه؟

والموكِّل أمانة في عنق المحامي، وربُّنا سائله: أدَّى واجبَه أم أهمل؟

والخبر أمانة في عنق النَّاقل والمحرر والمذيع، وربُّنا سائله: أصدقَ أم كذب؟

وهكذا يدخل الإيمان والأمانة في العبادات والمعاملات والعلاقات الأسرية وفي القضاء وفي الولايات العامَّة والخاصة، ومهما فشا الإيمان وزادت الأمانة فشا الأَمْن والسِّلم في الأرض.

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخ صاحب المسألة وأشباهه: الإيمان والأمانة والأمن: كلماتٌ ترجع في اشتقاقها اللُّغوي إلى أصل واحد، وارتباطُها اللُّغوي دليل على ارتباطها الواقعي.

الإيمان بالله تعالى يدعو للأمانة ولكلِّ خُلُقٍ حسنٍ وينشر الأمن في الأرض والنفس، وهجر الإيمان وإشاعة الرذيلة في المجتمعات تنشر الجريمة وتبسط الفساد في الأرض والنفس، وقد وَعَدَ اللَّهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وأوعد أهل الضلال والفساد البوار والهلاك، والله أعلم.

ختاماً – أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**.

والحمد لله رب العالمين